التنوع السردي في القصص القرآنية - قصة نوح عليه السلام نموذجاً

بهروز قربان زاده
عضو هيئة التدريس في جامعة مازندران، بابلسر- إيران
b.ghorbanzadeh@umz.ac.ir
محمد كلاشي
دكتوراه في اللغة العربية وآدابها - إيران
kalashi.mohammad@gmail.com

Narrative diversity in Quranic stories - The story of Noah as a model

Behrooz Ghorbazadeh
Member of the teaching staff of the University of Mazandaran, Babolsar - Iran
Mohammad kalashi
PhD in Arabic Language and Literature

الملخص:

مّما لا شك فيه أن القرآن الكريم قد أُنزِلَ من الله كمعجزة على رسول الله ﷺ ولا مثيل له في المعاني والقيم. لهذا الكتاب ميزات فريدة من نوعها لا تُوجَد في الكتب الأخرى. كما أن له خصائص قيمة تجعلُه معجزة للعلماء والأدباء والباحثين فيه. القصة هي التعبير عن الحياة بكل تفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن، ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية، مع فارق واحد، وهو أن القصة اختيار وتنسيق، اختيار لحادثة أو عدة حوادث، تبدد وتنتهة في زمن محدود، وتصور غاية معينة، وتساق جزئياتها سياقاً معيناً يؤدي إلى تصوير هذه الغاية. السرد هو إعادة تمثيل أو رواية سلسلة من الأحداث المترابطة عن طريق التحول من وضعية لأخري.

ومن هذا المنطلق، تستهدف هذه المقالة بناء على المنهج الوصفي التحليلي، دراسة التنوع السردي في القصص القرآنية عامة وعلي وجه الخصوص في قصة نوح عليه السلام.

إن نتيجة هذا البحث تدل على أن القصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم تُحكي بطرق السردية مختلفة، ولايقصر الله تعالى هذه القصة في سورة نوح عليه السلام، بل يأتي قصة هذا النبيّ في السور المختلفة وفي كلّ واحد من هذه السور، يحكي بأسلوب مختلف مع مثله في السورة الأخرى.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، القصة، تنوع السرد القصصي، نوح عليه السلام.

Abstract:-

There is no doubt that the Noble Qur'an was revealed from God as a miracle on the Messenger of God and has no equal in meanings and values. This book has unique features that are not found in other books. It also has valuable properties that make it a miracle for scientists, writers and researchers. The story is the expression of life in all its details and parts as it passes in time, represented by external accidents and internal feelings, with one difference, which is that the story is a choice and coordination, a choice of an accident or several incidents, which is dispersed and ended in a limited time, and it conceives a specific goal, and its parts are aligned in a specific context Leads to illustrate this purpose. Narration is a reenactment or narration of a series of interconnected events by switching from one situation to another.

From this standpoint, this article aims, based on the descriptive and analytical method, to study the narrative diversity in the Qur'an stories in general and in particular in the story of Noah.

The result of this research indicates that the story of Noah in the Noble Qur'an is told in different narrative ways, and God Almighty does not shorten this story in Surah Noah. Rather, the story of this Prophet comes in the different surah and in each of these surahs, it is told in a different manner. With the like in the other surahs.

Key words: Holy Quran, story, storytelling variety, Noah.

١ـ المقدمة:

القرآن هو معجزة النبي وكتاب الإرشاد والرخاء للشعب. يشير الله إلى قصة الأنبياء فيه، لكي يكون نموذجًا للأشخاص المتعلمين. إن الطبيعة المعجزة للقرآن هي واحدة من أهم سمات القرآن التي تشمل كل من كلمة وأسلوب، ومعناه وأسلوبه. لهذا الكتاب ميزات فريدة من نوعها لا تُوجَد في الكتب الأخرى. كما أن له خصائص قيمة تجعلُه معجزة للعلماء و الأدباء و الباحثين فيه. قال الله تعالى حول اعجازه على الانسان و الأجنة: ﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ (البقرة/٢٣) و هذه الآية تدلّ على اعجاز القرآن العلمي و البياني و المعنوي الخ.

تعد القصة إحدى الوسائل التربوية والتعليمية تشويقاً لتمثيل وتعليم مواضيع وأفكار شتى، والقصة رافقت الانسان منذ خلقه لأن الله سبحانه وتعالى قَصّ علينا قصة أبينا آدم وكيف فتنه إبليس، ويرى البعض أن القصة تمثل تاريخ الأمم السابقة، والقرآن الكريم قص علينا أخبار الأنبياء وأحوالهم وشعوبهم. والقصة حظيت بمكانة كبيرة في القرآن، فنجد أن كلمة قصة وردت سبعاً وعشرين مرة في القرآن، وأنها أحسن القصص ونبأ الحق تفريقاً لها عن أساطير بني إسرائيل كما خصصت سورة باسم القصص. وقد انتهج القرآن الكريم نهج سرد وحوار ومثل في مواطن عدة كآية من آيات إعجازه، وذلك بسرد أخبار الماضيين من الأمم والأنبياء والرسل إظهاراً لنبوة النبي عليه السلام، وليكون ذلك أسوة وقدوة أو لتحقيق غاية معينة كنشر حكمة أو تعليم فضيلة. (محمد الحاج: ٢٠٠٨، ١١) والقصة القرآنية هي نص أدبي سردي ينطوي على مقومات الفن السردي ويتجاوزها أحياناً. (ينظر: بن يوسف، ٢٠٠٩: ١) والسرد القصصي هو من عناصر إنشاء القصة وطريقة أداءها وهذا حسب نوع القصة يفرق في القصص المختلفة. لذا القصص القرآنية من حيث إعجازها تفرق مع القصص البشرية وتُحكي بالسرد المتنوع في كل واحد من القصص القرآنية.

١ـ١ـ ضرورة البحث:

مما لاشك فيه أن النص القرآني نص تشريعي ودستور للمسلمين، أنزله الله سبحانه وتعالي بلسان عربي مبين. ومعني ذلك أن هذا النص التشريعي لايمكن لاحد أن يحرفه

بشكل من الأشكال. كما أنه إن احتاج الأمر لتحليل القصص القرآنية وتبيينها لإرشاد الشعب. لابد للباحث أن يدرس في مجال سرد القصص في القرآن وتحليلها حسب تنوع السرد للقصة الواحدة في السور المختلفة. لأن تُحكي وتُروي القصة في القرآن لهداية وإرشاد الإنسان. لأن الله تعالى نزّل القرآن لهداية البشر. لذا حسب ما مضي، إن دراسة في قصة نوح عليه السلام أمر هام وضروري.

١ـ٢ـ أسئلة البحث:

وحسب ما مضي من الآراء المختلفة حول مكانة القصة في القرآن، اختار الباحث جزءاً من هذا المعين العذب مجالاً للبحث والدراسة وهي قصة نوح عليه السلام التي خصصت بأكملها لقص حياة ذلك النبي العظيم عليه السلام، وكذلك لأن الباحث لاحظ البحوث التي تتناول تنوع السرد في مجال القصة القرآنية نادرة في المكتبة الأكاديمية، إذ تناول الباحثون الإعجاز البلاغي والعلمي وغيره في القرآن الكريم ولم يهتموا كثيراً بالإعجاز السردي للقرآن الكريم. حسب كل هذه الأقوال يخطر هذه الأسئلة في ذهن الباحث لدراسة في قصة نوح عليه السلام في القرآن: ١ـ ما الفرق بين السرد في القصة القرآنية ومنها البشرية؟ ٢ـ كيف عملية السرد القصصي في قصة نوح عليه السلام؟ ما هي التنوع السردي في قصص القرآن عامة وعلي وجه الخصوص قصة نوح عليه السلام؟

١ـ ٣ـ أهداف البحث:

إن الهدف الجوهري من هذه الدراسة المتواضعة هو توجيه الدراسين إلى قضية هامة وهي أن للدرس القرآني مجاله المعرفي الخاص، لذا يمكن القول بأن هذه الدراسة هي محاولة لتوجيه الدراسين إلى ضرورة الولوج إلى حيزه الإشكالي للوصول لكشف عن كيفية السرد وتنوعها في القصص القرآنية عامة وعلي وجه الخصوص سورة نوح عليه السلام من خلال التحليل والاستنباط العلمي. كما أن هذه الدراسة تهدف إلى الإسهام في حقل تحليل وتبيين السرد القصصي في القرآن، وتعريف الباحثين الآخرين ومخاطبي القرآن بسرد قصص القرآن وتنوعه.

١ـ ٤ـ منهج البحث:

سأعتمد في هذا البحث المنهج الوصفي القائم على الاستنباط و التحليل و ذلك على

النحو التالي:

١ـ التمهيد للموضوع بما يمثل الدراسة النظرية، في حدود ما يلي:

أ- الحديث عن القرآن الكريم وأهميته، وتعريف القصة والسرد القصصي.

ب - الحديث عن القصص القرآنية وكيفية سردها.

٢ـ تعريف قصة نوح عليه السلام وتحليل تنوعها في السرد القصصي.

١ـ ٥ـ المصادر:

وقد فرضت طبيعة البحث الرجوع إلى المصار المختلفة منها؛ الكتب، والأطروحات، والمقالات و... التي كتبت في قصص القرآن وتحليلها العلمية المنهجة والسرد فيها، تم رصدها كحواش في نهاية كل صفحة، وكمصادر ومراجع في نهاية البحث.

٢ـ خلفية البحث:

كتبت أبحاث مختلفة حول قصص القرآن على اساس الآراء المختلفة من حيث الإعجاز وسرديتها. ولكن عنوان هذا البحث محدد ومخصص لقصة نوح عليه السلام ويدرس تنوعها السردي. أما هذه المقالة هي تكملة الابحاث السابقة، لكن هناك فرق بينها و بين تلك الابحاث. ورؤية الباحث فيها على اساس تنوع السرد القصصي وكيفيته في قصة نوح عليه السلام.

٢ـ ١ـ الدراسات الإيرانية:

١ـ مقالة ((التواتر السردي في المتناثر في قصة آدم عليه السلام في القرآن الكريم)) لمريم بخشي وآخرين (١٤٣٦ه.ق)؛ درست حول السرد وتواتره في أهم المقولات الزمانية والأسلوبية ومن أهم وجوه ذعجاز القرآن وانزياحه السردي في قصة آدم عليه السلام.

٢ـ مقالة ((مرلفههاي زمان ومكان روايي در قصص قرآني)) لأبي الفضل حرّي تطرّق إلى موضوع التواتر في السرد القرآني بصورة عابرة سريعة واكتفي بالإشارة إلى أمثلة من قصة موسى عليه السلام التي تكررت روايتها.

٣- كتاب ((التحليل الأدبي والفني لقصص القرآن)) تطرق إلى موضوع التكرار في قصص القرآن بصورة وافية وشاملة.

٤- كتاب ((المورفولوجيا لقصص القرآن)) لمحمد حسيني (١٣٨٢ش) تناول ترتيب الأحداث في القصة في السور المختلفة.

٢ـ ٢ـ الدراسات الخارجية:

١ـ إعداد أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من قبل رياض بن يوسف (٢٠٠٩م) تحت عنوان ((أدبية السرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد)) بإشراف حسن الكاتب، تطرق إلى موضوع أدبية السرد في القصة القرآنية.

٢ـ كتاب ((البنية السردية في القصص القرآنية)) لمحمد طول (١٩٩١م)، يتناول حول بنية السرد وطريقته في القصص القرآنية.

٣ـ كتاب ((مستويات السرد الإعجازي في القرآن الكريم)) لشارف مزاري (٢٠٠١م) تناول موضوع التكرار بصفته "لازمة قرآنية" أسلوبية.

٤ـ كتاب ((بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم)) لمحمد مشرف خضر (٢٠٠١م)، تطرق إلى البحث في النص القصصي القرآني من خلال قسمين أساسيين: القسم الأول يبحث في القصة القرآنية بصفتها متناً حكائياً يهتم بمجموع الأحداث المتصلة في ما بينهما، وتمثل مادة أولية للحكاية الواقعة من أشخاص. أما القسم الثاني فيدرس القصة بصفتها خطاباً ذا شكل خاص، وقد تناول المؤلف هذه الخصوصية من خلال المنظومة الثلاثية: الزمن والصيغة والرؤية السردية، حيث تنشأ خصوصية الزمن من العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب وخصوصية الصيغة من التنوع الخطابي في النص وخصوصية الرؤية السردية من العلاقة بين المتكلم والنص.

٣ـ السرد:

تختلف تعريفات السرد حسب آراء النافدين من ناقد لآخر، وقد هذا يصعب استخلاص تعريف واحد وواضح له.

وهذه بعض تعريفاته:

١- ((السرد هو إعادة تقديم Representation لحدث، والحدث هو التحويل

Transformation، الانتقال من حالة س إلى حالة سَ)) ((Nicol, 2004: 13

٢- ((السرد هو اتحاد بين الخطاب والحكاية، أو بكلام نستنسخه من المفهوم السوسيري للعلامة: بين الراوي والمروي.)) (Claude, 1989: 147)

٣- السرد هو ((المحاكاة السيميوطيقية لسلسلة من الأحداث المترابطة زمنياً وعلياً بطريقة ذات مغزي.)) (Onega, 1996: 3)

٤- ((السرد هو تتابع حالات أو وضعية إلى حالة أو وضعية أخرى.)) (J.Courtes, 1990, 70 – 72)

٥- ((السرد يتألف من سلسلة من الوحدات المتضامنه فيما بينها، تحيل كل منهل إلى الأخرى، وتساهم معاً في تنظيم عالم درامي منسجم.)) ((13 – 12 :Y.Gilli, 1985

٦- ((السرد هو شكل لتحليل الواقع، إنه طريقة للتفكير، إنه علم المؤرخين..)). (Guy Lafleche, 2007: 10) يدل هذا التباين الواضح في التعريفات المختلفة للسرد على اختلاف زوايا النظر إليه من قبل الناقدين. ففي التعريفات المذكورة عناصر مختلفة رُكزت عليها، منها التحوّل، والترابط بين الأحداث، والعلاقة بين الخطاب والحكاية.

ويمكن حسب التعريفات السابقة إقتراح التعريف التالي للسرد: ((السرد هو إعادة تمثيل أو رواية سلسلة من الأحداث المترابطة عن طريق التحول من وضعية لأخري)). وقد استبعدنا في هذا التعريف الترابط المنطقي والسببي بيا الأحداث حتى يكون هذا التعريف جامعاً، لأن ثمة نصوص سردية لا تقوم بالضرورة على البناء المنطقي أو السببي للأحداث. (ينظر: بن يوسف، ٢٠٠٩: ١٨)

٤- القصة القرآنية:

من قديم الزمن لقد كان البشر يروي ويحكي القصة للآخرين. ولايوجَد أي شعب ليس في ثقافته الأدبي تراث أسلافه القيم من القصص والحكايات. القصة هي قسم كبير من أدب في كل من البلاد. وحِصّتها في آثار الشعراء والأدباء كثيرة جداً. وهي خير الآثار التي أنشدها الأدبء والشعراء. كتابة القصة من فروع الفن وبسبب ميزاتها المتنوعة، منها:

الجاذبية والمتعة التي تنفذ في روح الإنسان وعلي وجه الخصوص الأطفال والمراهقين، لذا لها الأكثر شيوعاً في عالم الفن. (رحماني، ١٣٦٠: ٩) القصة هي فن بحرفيته والقاص هو فنان بشكله الكامل.

أما القصة في المصطلح هي التعبير عن الحياة بكل تفصيلاتها وجزئياتها كما تمر في الزمن، ممثلة في الحوادث الخارجية والمشاعر الداخلية، مع فارق واحد، وهو أن القصة اختيار وتنسيق، اختيار لحادثة أو عدة حوادث، تبدد وتنتهة في زمن محدود، وتصور غاية معينة، وتساق جزئياتها سياقاً معيناً يؤدي إلى تصوير هذه الغاية. (ينظر: العزب، ١٩٨٠: ٣٨٩، وعلي مطاوع، ٢٠٠٦: ٢٣)

تُحكي وتُروي القصة في القرآن لهداية وإرشاد الإنسان. لأن الله تعالى نزّل القرآن لهداية البشر. لذا للقصة في القرآن معني خاص. وإن القصة في القرآن ليست ممارسة فنية مستقلة في موضوعها، وطريقة التعبير وبنية سرد أحداثها تشبه فن الحرية الذي له غرض تقني خاص. بالتأكيد، القصة في القرآن هي نتيجة الإنجازات الدينية. القرآن قبل كل شيء كتاب لدعوته إلى الدين، وأحد وسائل إيصال هذه الدعوة وإثباتها. تتبع قصة القرآن موضوع السرد والغرض منه حسب الأهداف الدينية. (قطب، ١٣٣٥: ١١٧، البكري، ١٩٩٤: ٢٢٧، عتر، ١٩٩٤: ٢٢٤) وفقاً لما سبق، القصة في القرآن تابعة الزمن والمكان الخاص لبيان اهدافه المتعالية حسب مقتضي الحال.

إن القصة في القرآن استهدفت الهدف الفكري، والتربوي، والإرشادي في كل واحد من السور التي يحكي فيها القصة. (ينظر: برويني، ١٣٧٨: ٨٢) لكن هذا القول لا يعني أن القصة في القرآن ليست فناً بل القرآن كله فن وفنه الإلهي. لأن القرآن كتاب سماوي والقصة القرآنية هي أخبار الأسلاف والأولين وهي واقعية وصادقة حسب علم الله تعالى لتوسُع العلم ووالعبرة بين الإنسان الذي يفكر فيها. (ينظر: موسوي جرمارودي، ١٣٧٥: ١٣) وهذه هي جاذبية القصص القرآنية بحرفيتها.

إن القصص القرآنية عميقة وعالية الجودة وذات أهداف عالية وإنسانية منها: إثبات الوحي والنبوة، وإثبات وحدة الاديان واشتراكاتها، وتبيين طريق الأنبياء المشترك في دعوتهم إلى الله وإثبات فوز الأنبياء في مقابلة الكفار، وتبيين دور إبليس في اغفال الانسان،

واستدعاء إلى العبرة من الاسلاف والأولين والتفكر في حياتهم و... (ينظر: برويني، ١٣٧٨: ٨٩ - ٨٥)

٥ـ السرد القصصي في القرآن:

الواقع أن السرد القرآني هو في بعض مظاهره سرد تاريخي فعلاً، ولكنه لا يسرد الحادثة التاريخية بتفاصيلها، بل يضمر أغلب حيثياتها ويختزل الأحداث اختزالا ليبرز العظات والعبر الكامنة فيها. فالتفاصيل التاريخية ليست من المقاصد التعليمية في قصص القرآن، لأن قرب الحادثة أو بعدها، في الزمان والمكان، لا يؤثر فيما تحمل من عبر. (ينظر: على مطاوع، ٢٠٠٦: ٤٥) الخطاب القرآني إذن يتناول التاريخ بحرية وانتقائية تتجليان في اختيار بعض الأحداث التاريخية دون بعض. واهمال مقومات التاريخ من زمان ومكان وترتيب للأحداث. (ينظر: خلف الله، ١٩٩٩: ٧٧) لكن خلف الله من وجهة النظر الأخرى يعتقد ((أن السرد القرآني قد يخالف الحقائق التاريخية وهذه المخالفة تخرجه من الميدان التاريخي وتدخله في ميدان الأدب والبلاغة لأن القصد ليس إلا الايحاء والتأثير واستثارة العاطفة والوجدان وهو يتوهم وجود اختلاف بين قصص القرآن الكريم وحقائق التاريخ ولكنه يخشي أن يقول ذلك حرفياً. (المصدر نفسه: ١٧٨)

إذن فواقعية الأحداث التاريخية في السرد لا تنافي بالضرورة الأدبية أو على الدقل، ليس ثمة اجماع بين النقاد على هذا الرأي، وإن كان الواقع الأدبي، قديماً وحديثاً، يحفل بالشواهد البينة على زواج السرد الأدبي والتاريخ. فكثير من الأدباء صاغوا سيرهم الذاتي بأسلوب الروائي كحنا مينة في "المستنقع" و"بقايا صور"، وتوفيق الحكيم في كتابه "حياتي"، وطه حسين في "الأيام". ولا ننسي هنا "أدب الرحلات" فهو ذوطبيعة سردية خالصة. (بن يوسف، ٢٠٠٩: ٢٤)

لكن أهم مدخل لفهم أدبية السرد القصصي وتوكيدها هو أدبية النص القرآني نفسه. فهذا النص الإلهي لم يؤمن به المسلمون الأوائل لأنه تشريع جديد، أو لأنه تاريخ للأمم الماضية، أو لمل حفل به أنباء الغيب فحسب. لقد صدمتهم لغته الجديدة فآمنوا به ((بوصفه نصاً بيانياض امتلكهم: آمنوا به... لأنهم رأوا فيه كتابة لا عهد لهم بما يشبهها)) (أدونيس، ١٩٩٣: ٢٢) وإذا كان النص القرآني يجيب عن أسئلة الكون والوجود. (ينظر: بن يوسف، ٢٠٠٩: ٢٤)

إن النص القرآني كان معجزاً للعرب حين أبدع لغة جديدة بأساليب جديدة، ومفردات جديدة لا عهد لهم بها. (ينظر: عبدالرحمن، ١٩٧١: ٢٧٨) كان القرآن الكريم باختصار تحدياً بيانياً لأمة شاعرة، والسرد كمكوّن بارز للنص القرآني لا شك أنه من أدوات ذلك التحدي. فإن معركة القرآن البلاغية لم تكن مع الشعر بل مع النثر. وليس أي نثر بل القصص التي كان يتحدث بها العرب في مجالسهم ويسمونها الأخبار. فهذا اللون النثري هو الذي عرف القرآن خطره على العقول والقلوب معاً فشاء أن يقضي عليه بما قصّ من قصص. (ينظر: خورشيد، ١٩٨٢: ١٥١ – ١٤٩)

٤ـ التنوع السردي في قصة نوح عليه السلام:

من الواضح أن القصة القرآنية تختلف عن القصة البشرية اختلافا أساسياً، فلذا ليس الجدير تُقاس وتُحلَّل القصة القرآنية بالمقياس والمعايير البشرية فقط، لأن هذه العايير والمقاييس مخلوقة ليد البشر والبشر هو مخلوق الله سبحانه وتعالى، وعلي هذا المنوال لا يمكن أن تتكيف بشكل كامل مع القرآن في أي سياق. وهذا يعني إذا أردنا تحليل الأشكال المختلفة للقصص القرآنية فقط بالأدوات النقدية التقليدية والبشرية، فلن تكون النتيجة جيدة. ولكن لتحليل وتبيين أشكال القصة المختلفة في القرآن بشكل أفضل، يجب على الباحث أن يستخدم المعايير القياسية للأدب المعاصر اليوم والمعايير التقليدية معاً. وهكذا، فإن القصص القرآنية من أنواع مختلفة؛ القصص الطويلة (الروايات)؛ قصة يوسف عليه السلام وقصة النبي موسى عليه السلام، والقصص المتوسطة مثل قصة آدم عليه السلام، نوح عليه السلام وداود عليه السلام، والقصص القصيرة، مثل: قصة صالح عليه السلام، وهود عليه السلام، وشعيب عليه السلام، والقصص القصيرة جداً؛ مثل قصة النبي زكريا عليه السلام وأيوب عليه السلام. (ينظر: برويني، ١٣٧٨: ١٠٤ وميرصادقي، ١٣٧٦: ٢٩١) وفقا لما سبق، فإن قصة نوح عليه السلام هي من القصص المتوسطة للقرآن الكريم التي تشمل عدد من الحلقات والعروض التي لا تزيد عن خمسة، وقصته النبي، مع الأخذ بعين الاعتبار جميع الأجزاء المتكررة في السور المختلفة، تُبدأ ببداية مهمته الإلهية وتُستمر وتنتهي بإنذار قومه وإنكار نوح من جانب قومه وبناء السفينة والقضايا المتعلقة بها وتراجع عقاب الله. (ينظر: برويني، ١٣٧٨: ١٠٦ ـ ١٠٥)

وردت قصة نوح عليه السلام مع قومه في سور متعددة منها: سورة الأعراف، ويونس، وهود،

والمؤمنون، والشعراء، ونوح. وكان قوم نوح عليه السلام يعبدون الأصنام، فأرسل الله تعالى إليهم نوحاً، ليرشدهم إلى عبادة الله تعالى وحدة، و ينهاهم عن عبادة أحد سواه. (ينظر: سيد طنطاوي، ١٩٩٦، المجلد ١: ٤٩)

تجدر الإشارة إلى أن القرآن قد استخدم أساليبه بطرق وتقنيات مختلفة، كل هذه الممارسات والفنون الفنية في نفس الغرض الحقيقي للقرآن، وتحديداً تحريض المزيد من المعاني والتعاليم الإلهية، والتواصل بين المهمات الإنسانية. ظهر الرسم التوضيحي من صورة الدين ولم يكن أبداً العمل الفني والفني الوحيد في القرآن وحده والمستقل، ولكنه مطيع باستمرار لأغراض دينية. لكن هذا الإذلال لم يمنع أبدا ظهور والكشف عن السمات الفنية وفنيته. في الواقع، يؤسس التفسير القرآني دائمًا المعتقدات الدينية والأشكال الفنية للبشر، ويضع المواهب الفنية في التنوير من أجل جلب الضمير الديني للمجتمع. (ينظر: قطب، ١٣٥٩: ١٩٩) إن النمط البنيوي لقصص القرآن متنوع. أساسا، واحدة من أهم الميزات التي ظللت القرآن كله هي سمة التنوع في طريقة التعبير عن المفاهيم القرآنية. حسب قول الله تعالى: (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلا نُفُورًا) (الإسراء/٤١)؛ نحن نقلنا القرآن في الكلام والسياق المتنوع لعبرة الناس. من الطبيعي أن بنية القصة القرآنية ليست شاذاً من هذه القاعدة الموسّعة. (أبوزهرة، ١٣٧٠: ١٨٩)

لقد استخدم القرآن من الأساليب المختلفة والتقنيات المتنوعة في بنية قصصه بأن جميع هذه الممارسات الفنية سعيا لتحقيق غرضه. أي تشجيع المخاطب على المزيد من المعاني والتعاليم الإلهية، ابلاغ الرسالة الإنساني وإلقاء تصوير الدين في أذهان المخاطب.

٤ـ ١ـ السرد في التعبير عن قصة نوح الكاملة في الآية الأولى من سورة نوح:

في بعض الأحيان، إن الله في القرآن يقدم في البداية خلاصة القصة بأكملها دون مقدمة، وهو يدل على إثارة الفضول والاستكشاف في البشر. ثم يبدأ في شرح القصة. (ينظر: قطب، ١٣٥٩: ٢٥٣) كما تتبع قصة نوح عليه السلام على هذا الأسلوب. الله تعالى يحكي في بداية القصة والآية الأولى من سورة نوح عليه السلام كل قصته، وقد تحدث عن نبوة النبي للتحذير وتحذير شعبه والحيلولة دون انتقام العقاب الإلهي. بحيث يمكن للإنسان، في ضوء خلفيته العقلية، فهم هذه القصة في ذهن عقله من خلال قراءة هذه الآية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا

﴿نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (نوح/١)، لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه لإنذارهم من أسلافهم وأجدادهم لكي يعبرون عن قصتهم ومصيرهم لأن إذا لم يكونوا هكذا، فيأتيهم عذابٌ أليمٌ. هذه الأية بوحدها تبين كل قصة نوح عليه السلام وغرض رسالته من البداية إلى النهاية كله. يعني إذا قرأ المخاطب هذه الآية فقط، فهم كل القصة وغرضها. وهذا أسلوب سردي خاص في بيان القصة في عالم القصص. ومن ثم يتم سرد القصة. ونوح يعلن نفسه رسول الله لشعبه ويتحدث عن واجبه الإلهي: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (المصدر نفسه/٢)؛ قال نوح عليه السلام لقومه إنّي نبيكم ومنذركم المبين والحق.

إحدى روايات سرد القرآن في قصة نوح عليه السلام هي عندما تتمة القصة وفي النهاية تظهر القصة في البداية، ومن ثم تبدأ القصة روتينها العادي مرة أخرى. و يمشي خطوة بخطوة وكم هي بداية فنية بديعة وأخّاذة إذا كان المرء يَشفع الانطلاقة بنتيجة محققة كما أنه يطّلع على المصير النهائي ويثير أسئلة وقَّادة ومستظرفة بذهنه المتفتح الذي يحثّه على استقراء جميع جوانب القصة بهيكليتها العامة الأمر الذي يجعل منه متتبعا ومستشفا لأحداث القصة بكل ملابساتها.

٤ـ ٢ـ السرد المتنوع في معني واحد:

الجدير بالذكر أن الإسلوب الأخرى من أساليب قصص القرآن وطرقها في سورة نوح عليه السلام وقصته. هذا الأسلوب في بناءه القصصي واضح جداً. هذا الأسلوب هو توظيف السرد المتنوع في معني واحد؛ التحويل المختلفة في المعني الواحد (بستاني، ١٣٧٢: ٣٦٩) كما قيل في الآية الأولى من سورة نوح عليه السلام معني واحد: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (نوح/١)؛ في هذه الآية يعرِّف الله نوحاً كمُنذِر لقومه بصورة عامة. لكن يبين هذا المعني في الآية الأخرى من هذه السورة بصورة أخص منها في الأية الأولى. قال الله تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ (المصدر نفسه/٢)؛ في هذه الآية يقول نوح لقومه أنا منذر مبين لكم من الله ويدخل القصة بصورة مفصلة. يعني في الآية الأولى يقول الله حول أنذار قوم نوح عليه السلام في القصة ويقولها بلسانه من لسان نوح. ولكن في الآية الثانية يقول نوح عليه السلام كالشخصية الأصلية لقومه حول هذا المعني نفسه بصورة مباشرة.

٤ـ ٣ـ تكرار القصة وتنوع السرد في السور المختلفة:

المتأمل للقصص في القرآن الكريم يجده أحياناً يتكرر بحيث ترد القصة الواحدة مرات عديدة وأحياناً لا يتكرر بحيث تأتي القصة مرة واحدة وهذا العرض فيه من الحكمة ما يمكن تلمسه بيسر وسهولة. يشتمل القرآن الكريم على كثير من القصص الذي تكرر في غير موضع، فالقصة الواحدة قد يتعدد ذكرها في القرآن، ومن القصص القرآنية ما لايأتي إلا مرة واحدة مثل قصة لقمان وإصحاب الكهف ومنها ما يأتي متكرراً حسب ما تدعو إليه الحاجة وتقتضيه المصلحة ولا يكون هذا المتكرر على وجه واحد بل يختلف في الطول والقصر واللين والشدة وذكر بعض جوانب القصة في موضع دون آخر. (أحمد الجوهري، دون تا: ٩)

حسب آراء بعض العلماء وراء تكرار القصص القرآنية حِكمٌ رصدها العلماء وما يلي:

١- بيان البلاغة القرآن في أعلي مراتبها، فمن خصائص البلاغة إبراز المعني الواحد في صور مختلفة، والقصة المتكررة ترد في كل موضع بأسلوب يتمايز عن الآخر، وتصاغ في قالب غير القالب، ولا يمل الإنسان من تكرارها، بل تتجدد في نفسه معان لا تحصل له بقرائتها في المواضع الأخرى.

٢ـ قوة الإعجاز، فإيراد المعني الواحد في صور متعددة مع عجز العرب عن الإتيان بصورة منها أبلغ في التحدي.

٣ـ الاهتمام بشأن القصة لتمكين عبرها في النفس، فإن التكرار من طرق التدكيد وأمارات الاهتمام. ٤ـ اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة، فتذكر بعض معانيها الوافية بالغرض في مقام، وتبرز معان أخرى في سائر المقامات حسب اختلاف مقتضيات الأحوال. (ينظر: القطان، ٢٠٠٠: ٣١٩ ـ ٣١٨)

إن واحد من التقنيات القصصية في قصة نوح عليه السلام تكرارها بالسرد المختلف في السور المختلفة. ولكن حجم القصة في هذه السور مختلف وتابع لغرض الله في بيان قصته. ويحكي الله قصة نوح عليه السلام في الآية الواحدة إحياناً ويحكي فط الآيتين أو الآيات المتعددة و... وهذا يدل على تنوع السرد في قصته.

تبحث وتحلل هذه الدراسة حول هذا المجال الذي يأتي في التالي:

١ـ الآيات المتعددة من السور المختلفة التي حول شريعة الله على نوح، وتروي وتحكي قصته، على ما يلي:

١- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ، فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ، إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ، قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ، فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ، فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ، وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ (المؤمنون/٣٠ ـ ٢٣)؛ في هذه الآيات من سورة المؤمنون في قصة نوح عليه السلام، يحكي الله خلاصة قصته لتذكر الإنسان ويشرح فيها صبر واستقامة نوح في مهمته الإلهي ودعوة قومه إلى الله تعالى. وأيضا يروي الله مصير القوم و العقاب الإلهي والعاصفة. سرد قصة نوح في هذه السورة بالنسبة سورة نوح أكثر خلاصةً ومجملاً.

٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ، فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ، وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ، وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ، تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ، وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ، فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ، وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ (قمر/١٧ ـ ٩)؛ في هذه السورة يتذكر الله بقصة نوح بصورة مجملة عباده واقوام مختلفة منهم جاء من بعد قوم نوح عليه السلام. و من الطبيعي أن قصة نوح في هذه السورة بالنسبة سورة نوح التي تختص بقصة نوح خاصة، ملخصة ومبعثرة.

٣- ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ، وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ، وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ، وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ، سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ، إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (الصافات/٨٢ ـ ٧٥)؛ هذه الآيات من سورة الصافات تروي ختام قصة

نوح، وحسب السور السابقة التي جاءت فيها قصة نوح، هذه السورة أيضا خلاصة من قصته وتروي جزء منها. والسرد فيها يربط إلى ختام قصة نوح بصورة عابرة ومجملة ويختلف مثل نفسه في السور الأخرى وأهمها سورة نوح.

إن ظاهرة التنوع والتكرار في القرآن كثير، عادةً ما تُرى في قصصه خاصة. وقد استخدم القرآن السرد المتنوع لشرح الحقائق الدينية، وعلاوة على ذلك، فقد أصر على بعض المفاهيم الدينية واستخدم القصص المتكررة لكن المتنوعة للتأكيد عليها. هناك الكثير من الحديث عن ظاهرة تكرار وتنوع في قصص القرآن. التكرار هو أحد الملامح الفنية للقرآن في عرض القصة. بالطبع، هذه المكررات هي أجزاء وحلقات القصة، وليس كلها. (ينظر: بروينى، ١٣٧٩: ١٢٤) قال سيد قطب: إذا كانت حلقةٌ مكررةً، فلها نقطة جديدة ومزيدة على ما يشابهها من قبل. (ينظر: قطب، ١٣٥٩: ١٣١) أو، تم عرض بعض القصص في العديد من السورة مع تعبيرات مختلفة من حيث وجود أهداف متعددة و المنظورات من مواضع وزوايا متنوعة. وكما أنه كرِّرَت قصة نوح في السور المتعددة عدة مرات، وفي كل سورة هناك هدف وموضوع محدد للقصة. كما أن تنويع رواية القصص هو أحد أسباب تكرار قصة نوح عليه السلام في القرآن الكريم. وتكرار القصة بصيغة تنوع السرد بمفردات مختلفة يؤدي إلى تثبيت معنى القصة عند المخاطب، وهو علامة على لغة البلاغة. (ينظر: حافظ، ١٤١٠: ٢٣٢)

على الرغم من وجود عدة أسباب لظاهرة التكرار في القرآن وبالأخص قصصه، فمن الواضح أن استخدام عنصر التكرار في قصص القرآن لا مثيل له والقصة البشرية من حيث هذا العنصر غيرناجحة جداً بالنسبة القصص القرآنية في حجمها الخاص. وهو من سمات القرآن البيانية. كما أن جاءت قصة موسى عليه السلام في أكثر من ثلاثين سورة، لكنها يختلف بعضها عن البعض من حيث حجمها قصيرة وطويلة. (ينظر: قناد، ١٣٨٩: ٧٦) وإن هذا يصدق في قصة نوح عليه السلام على منوال قصة نبينا موسى عليه السلام في القرآن لتنوعها السردية في السور المختلفة.

إن تنوع السرد القصصي في القرآن يدل على اقتضاء اجزاءها المختلفة لزمن الخاص وعلي القارئ أن يرتبط كلها معاً بعد قراءتها. فلذا قصة نوح من أمثالها من حيث ميزتها الخاصة وهذا فريد من نوعه. لذلك، يمكن القول أن رواية سرد القصص للقرآن مبعثرة،

لكنها حية، وديناميكية، وهادفة. (ينظر: نساجي زواره، ١٣٨٢) ترتبط روايات القرآن ارتباطًا وثيقًا معاً وقد تحتوي على آية أو أكثر في مجموعة متنوعة من السياقات. لذلك، يمكن القول أن الجمع بين القصص المختلفة في القصة، إحدى طرق التعبير عن القرآن في التاريخ ورواية القصص وإن قصة نوح عليه السلام ليست مستثني من هذا الأصل.

٥ـ النتائج:

ولقد أوصلنا البحث إلى نتائج نسجلها فيما يلي:

- حسب الدراسة في هذا البحث، أن القصة القرآنية تختلف عن القصة البشرية كثيرة جداً. والأهم منها هي حجمها أقل من القصة البشرية ولكن مفاهيمها ومضامينها اكثر منها البشرية.
- في سورة نوح، التي تروي قصة النبي مع المزيد من الآيات والكلمات، فإن الآية الأولى وحدها هي نظرة عامة على القصة كلها. التعبير عن مفهوم في مختلف الآيات، سرد خاص في قصة نوح عليه السلام، يعبر عن قصته في السور المختلفة على ضوء أهمية القصة، ومن ناحية أخرى، القصة الفريدة للقصة.
- إن تنوع السرد القصصي في القرآن يدل على اقتضاء اجزاءها المختلفة لزمن الخاص وعلي القارئ أن يرتبط كلها معاً بعد قراءتها. فلذا قصة نوح من أمثالها من حيث ميزتها الخاصة وهذا فريد من نوعه.
- امتاز القصص القرآنية بخصائص تميزه عما سواه من القصص البشري الفني من الإيجاز غير المخل الذي يصل إلى الغرض من أقرب طريق مع تحقيق فنيات القصة، وتحقيق الغاية الذي لا يخلو سبيل الوصول إليه من إثارة وتشويق، والواقعية التي تحمل في طياتها الصدق والقدوة.
- ترتبط روايات القرآن ارتباطًا وثيقًا معاً وقد تحتوي على آية أو أكثر في مجموعة متنوعة من السياقات. لذلك، يمكن القول أن الجمع بين القصص المختلفة في القصة، إحدى طرق التعبير عن القرآن في التاريخ ورواية القصص وإن قصة نوح عليه السلام ليست مستثني من هذا الأصل.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم

- أبوزهره، محمد (١٣٧٠ش)، معجزه بزرگ، مترجم: محمود ذبيحي، مشهد، مؤسسة البحوث الإسلامية، ط١.
- أحمد الجوهري، عبدالجواد (دون تا)، القصة في القرآن، الجامعة الأمريكية المفتوحة، قسم أصول الدين.
- أدونيس (١٩٩٣م)، النص القرآني وآفاق الكتابة، بيروت، دار الآداب.
- البكري، شيخ أمين (١٩٩٤م)، التعبير الفني في القرآن، بيروت، دارالملايين، ط١.
- العزب، محمد أحمد (١٩٨٠م)، عن اللغة والأدب والنقد: رؤية تاريخية ورؤية فنية، القاهرة، دار المعارف، ط١.
- القطان، مناع (٢٠٠٠م)، مباحث في علوم القرآن، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣.
- برويني، خليل (١٣٧٨ش)، ((تحليل ادبي داستانهاي قرآني؛ داستان نوح عليه السلام، يوسف عليه السلام، موسى عليه السلام))، أطروحة الدكتوراه للغة العربية و آدابها، بإشراف سيد ابراهيم ديباجي، جامعة تربية مدرس طهران، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- بستاني، محمود (١٣٧٢ش)، پژوهشي در جلوههاي هنري داستانهاي قرآن، مترجم: محمدحسين جعفرزاده، مشهد، مؤسسة البحوث الإسلامية، ط١.
- بن يوسف، رياض (٢٠٠٩م)، ((أدبية السرد القرآني مقاربة من منظور علم السرد)) بإشراف حسن كاتب، قسنطينة، جامعة منتوري.
- حافظ، عماد زهير (١٤١٠ق)، القصص القرآني، دمشق، دارالقلم، ط١.
- خلف الله، محمد أحمد (١٩٩٩م)، الفن القصصي في القرآن الكريم، يليه عرض وتحليل بقلم: خليل عبدالكريم، بيروت – القاهرة، مؤسسة الانتشار العربي، ط٤.
- خورشد، فاروق (١٩٨٢م)، في الرواية العربية، بيروت، دار الشروق، ط٣.
- رحماني، شريف (١٣٦٠ش)، جلوههاي اخلاق و عرفان در داستانهاي آسماني.
- سيد طنطاوي، محمد ١٩٩٦م)، القصة في القرآن الكريم، مصر، دار النهضة، الجزء الأول، ط١.
- عبدالرحمن، عائشة (١٩٧١م)، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، قاهرة، دار المعارف.
- عتر، نورالدين (١٩٩٤م)، القرآن الكريم و الدراسات الادبية، دمشق، نشر جامعة دمشق، ط٦.
- علي مطاوع، سعيد عطية (٢٠٠٦م)، الإعجاز القصصي في القرآن، القاهرة، دار الآفاق العربية، ط١.
- قطب، سيد (١٣٣٥ش)، في ظلال القرآن، مترجم: أحمد آرام، طهران، النشر العلمي، ط١.
- ـــــــــــ (١٣٥٩ش)، نمايش هنري در قرآن، مترجم: محمدعلي عابدي، ط١.

- قناد، صالح (١٣٨٩ش)، قصه‌هاي قرآن، قم، المركز لنشر المصطفى، ط٢.
- محمد الحاج، مها حسبو (٢٠٠٨م)، ((الخطاب القصصي في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية في سورة يوسف))، بإشراف هاشم ميرغني الحاج، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، كلية اللغات، قسم اللغة العربية.
- موسوي جرمارودي، على (١٣٧٥ش)، داستان پيامبران، طهران، نشر قدياني، ط٥.
- ميرصادقي، جمال (١٣٧٦ش)، ادبيات داستاني، طهران، النشر العلمي، ط٣.
- نساجي زواره، إسماعيل (١٣٨٢ش)، ((نگرشي بر داستان‌هاي قرآن و ويژگي‌هاي آن))، المجلة الفصلية: پاسدار اسلام، العدد ٢٦٢.
- Nicole everaert-desmedt -Sémiotique du récit-de boeck-3eme edition
- Claude Brémond- Racontant et raconté: les deux temps du récit –in Le
- onega ,suzana and landa Narratology an introduction "Longman publishing. U.S.A.1996.
- Y.Gilli-A propos du texte littéraire et du F.Kafka- centre de recherché en linguistique etrangere-Vol 10.Annales littéraires de l'université de Besançon- paris-1985.
- J. COURTES: Analyse sémiotique des discours.Hachette. Paris.1990.